أُحُد والحرّية والربيع

... وودعَ المدينةَ الرفاق
واهتزت الاعلامُ فوق اذرع الرياح
كأنها في الافق، عبر السهل، والحزون
لآليء البحار .
من هؤلاء الذاهبون ؟ هؤلاء ، هؤلاء:
الكادحون : من حريب ، من مهيض ، من فقير
والزغردات السمحة الخضراء ، من بعيد
من العذارى تسكب الضياء
في بسمة الجنود .
وقام فيهم حمزة خطيب :
« يا اخوتي الرفاق
حكام مكة اللصوص أشرعوا الحراب
ها هم اتوا ، لينشروا الدمار والخراب
ها هم اتوا ، ليخمدوا مشاعل النفوس
ها هم اتوا ليثأروا، ليكسفوا الشموس»
والموت، والاصداء ، والرايات، والصهيل
كصرصرٍ هائجةٍ تمزق الغيوم
وتمطر الرجوم
والنسوة السمر اللواتي اترع السلام
عيونهن بالهوى ، ورطبت رؤاه
ثغورهن بالمنى ، ينقرن في الدفوف :
« نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
ان تقبلوا نعانق
او تدبروا نفارق
فراق عير وامق »
يا لقلوبٍ رثةٍ ، مسعورة النشيد
يثرن في رجالهن شهوة الحروب
شوهن معنى الحب ، معنى لوعة الفراق.
ونشوة اللقاء .
الحقد ، والمال الوضيع ، بلّدَ القلوب
وحجّر العقول
ومرّغ الارواح في مستنقع كريه
وأجّج الاطماع ، والآلام ، والغرور
واستنزف الدماء :
وانهمرت سيول
وحممت خيول
وزمجرت طبول :
« وغى وغى وغى وغى
حر الحرار فالتظى
يا حبذا يا حبذا . . . »
التدمير ، والتقتيل ، والهموم
أيا ترى حلت بكل بقعة سدوم ؟ ؟
وحمزة الصبوح
يومض في الساحات، حيث ريشة الاخاء
بيضاء في خوذته ، تداعب النسيم .
وقائد العبيد
ابن المراعي ، والصحارى ، ذلك اليتيم
يهيبُ بالمستضعفين « وحدوا الصفوف
في جبهةٍ واحدة تحت لواء واحد مهيب
لا تحملوا الاسلاب والغنائم الثقال
لاتجهضوا الارحام، لا تستعبدوا الكهول
لا تحرقوا الحقول
نحن رجال الحب والاحلام والهناء
نستنكر الحروب »
وأزّ في الحشود صوت شاعر عميق
كأنه هزيم يمٍّ صاح « يا طغاة
لن تعدم الشعوب في محنتها محررين صامدين
وثائرين ثورة الربيع بالحياة
وبالدماء في عروق الارض ، في الربى
تفجّر العيون »
والتمعت شجيرة حمراء في السهول
عبر الرمال الظامئات للندى الطهور
وللشذى ، ولليناييع ، وللطيور
أوراقها الحمر اللواتي رُصعت كروم
على مدى عقودهن ، بددت هجير
وسلسلت نمير
وفيه سالت حرةً دماءُ كادحين
من واهبين للعصور بهجة الحياة .
واحتضن الراية في مرقده الشهيد ،
ورن يقفو ضجةَ الحمى صدى عويل
وشهقةُ الجرحى، وقتلى خضبوا الاصيل
فاشتعلت شموعه الحمراء كالحريق .
وأهرقت دموعها عرائسُ الغروب
وسال في البطاحِ صوتُ اسودٍ رخيم
رن الصدى ، فرددي يا هذه السهوب
اصداءَ قيثارته المسحورة الرنين
اودعها فؤاده عزيمةَ الزنوج :
« وبشرَ الذين ماتوا ميتة النسور
فوق الذرى، فوق الاعالي ، بشر الرفاق
لنا غد ، لنا المغاني ، القرى الوضاء
حيّ على الفلاح
حيّ على الفلاح »
يا حمزة الشهيد :
يا شعلة الرجاء ، يا كوكبة الرجال
مثلك آلاف الضحايا في مدى الزمان
عانوا — وما زالوا — يعانون من الطغاة
عوادي الارهاب ، والتشريد والسجون
معركة الاجيال لن ترهبها جيوش
ولا قلاع شاهقات انهكت شعوب
واججت حروب .
يا ايها الطغاة
يا لعنة الفجور ، يا مهازل السنين
لن تعدم الشعوب في محنتها محررين صامدين
وابرياء معدمين ناقمين .
قد نهض العبيد وانسل الصدى الجموح
من صرخة الشعوب
وها هي الأرض التي دنستموها تستفيقُ ، تستفيق
على لظى ، على صراخٍ « شددي النضال
في جبهةٍ واحدةٍ تحت لواء واحد مهيب
يا ثورة العبيد »

بغداد — كاظم جواد